

الدِّيوان

شاعر حضرمي يبكي شاعر النيل*

نشرت هذه المرثية جريدة الجهاد الغراء في عددها رقم (٣٣٤) في ربيع الثاني ١٣٥١هـ الموافق يوليو ١٩٣٢م. وعلق عليها محررها الكاتب القدير خطيب الشعب الأستاذ محمد توفيق دياب(**) بالكلمة الآتية:

«تلقينا تلك القصيدة الفريدة التي تفيض بالعاطفة الثرية، وتزخر بالوفاء الجميل لشاعر النيل، وقد نسج ديباجتها حضرة الأديب العدني المهذب الأستاذ علي أحمد باكثير، وحسب القراء أن يعرفوا أن هذا الأديب من مؤسسي نهضة الآداب العربية بتلك الأرجاء الحافلة بكرائم الذكريات، وليس شعره إلا صورة نفسه ووحي إحساسه، وهو كالسلسبيل العذب قد اجتمع إلى صفاء غديره، جمالُ الإرنان في خريره. وإلى القراء ذلك المنظوم من السهل الممتنع»:

رُفعَ الشِّعرُ وانْطَوى الإلْهَامُ إذْ ثوَى (حَافظٌ) عليه السَّلامُ

شُعراءَ الجزيرةِ ابكوا جميعاً أنتم اليومَ – وَيحكُمْ – أيتامُ

---

* حافظ إبراهيم (١٢٨٧ – ١٣٥١هـ / ١٨٧١ – ١٩٣٢م) الملقب بشاعر النيل، ويُعدُّ ثاني أكبر شعراء العربية في عصره بعد شوقي، أعجب به باكثير في باكر صباه إعجاباً عظيماً، وفضّله على أمير الشعراء، وأقام وليمةً لزملائه يوم وصول ديوان حافظ إليه في حضرموت، وظل يحلم بلقياه عندما يصل إلى مصر، إلا أنه فجع بوفاته في ١٧ صفر ١٣٥١هـ الموافق ٢١ يونيو ١٩٣٢م وهو لايزال في عدن. وقد وصف في رسالة بعثها من عدن إلى أخيه عمر في حضرموت بتاريخ ٢١/٤/١٣٥١هـ الموافق ٢٤/٨/١٩٣٢م الصدى الكبير الذي لقيته هذه القصيدة إثر نشرها في مصر.

** محمد توفيق دياب (١٣٠٥–١٣٨٧هـ / ١٨٨٨–١٩٦٧م) صحفي وعضو مجمع اللغة العربية بمصر، درس في لندن لمدة خمس سنوات وعاد منها سنة ١٩١٦م. كان خطيباً مفوهاً منذ نشأته حتى لقب بـ « خطيب الشعب »، ودخل السجن سنة ١٩٢٣م بسبب رأيه. أصدر (جريدة الضياء) اليومية، وطارت شهرته عندما أصدر (جريدة الجهاد) سنة ١٩٣١ التي استمرت في الصدور حتى إغلاقها سنة ١٩٣٨م.=

إنْ شككْتُم فيمِّموا قِبْلَةَ الشِّعْرِ   تَروهَا ولَيْسَ فيها الإمَامُ
أَوْ فزوروا (أميرَكم) تجدوه   باكياً عنْدَه الهُمُومُ رُكامُ(١)
قائلاً . أينَ (حافظٌ)؟ أينَ وَلّى   أينَ خلّي الوفيُّ ؟ أينَ الهُمَامُ؟(٢)
لاَ تقُولُوا : لنا (بِشَوْقي) غَنَاءٌ   عن أخيه فَبِئْس هذا الكلام(٣)
أنـا قَيـثـارَةٌ، رتـا (حـافـظٌ) أوْ تـارهـا فـانبـرتْ لـهـا أنـغـامُ(٤)
فدعُوني أبْكيه إنَّ سُلُوِّي   بعد أنْ سارَ (حافظٌ) لحَرَامُ(٥)

***

= وتعد هذه الجريدة من أهم الصحف التي صدرت في مصر في تلك الفترة. راسل باكثير (جريدة الجهاد) منذ كان في حضرموت وعدن ونشر فيها بعض شعره ومقالاته، وتوطدت علاقته بصاحبها بعد وصوله مصر لحين وفاته.

(١) أميركم : يقصد به أمير الشعراء أحمد شوقي .

(٢) الخِلّ : الصديق والمخلص. الهمام : الشجاع السخي .

(٣) غناء : أغنى عنه غناء فلان : ناب عنه .

(٤) رتا : من رتا القلب يرتوه أي قوّاه، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال في شعر الخنساء « إنه يرتو فؤاد الحزين » . ورتا الأوتار شدّها وقوّاها .

(٥) سُلوي : من السلو أي النسيان . ومن فرط محبته لحافظ وحزنه عليه يبدو أنه استعلم عن ظروف وفاة حافظ وأثر وقع ذلك على شوقي من صديق له في القاهرة فأجابه في رسالة بتاريخ ٢٥ /٧ /١٩٣٢م بما يلي :

« توفي حافظ إبراهيم في الساعة الخامسة، وكان قد استدعى بعض أصحابه لتناول العشاء ولم يشاركهم لمرض أحس به، وبعد مغادرتهم شعر بوطء المرض فنادى غلامه الذي أسرع لاستدعاء الطبيب وعندما عاد كان حافظ في النزع الأخير، توفي – رحمه الله – ودفن في مقابر السيدة نفيسة (رضي الله عنها) . وعندما توفي حافظ كان أحمد شوقي يصطاف في الإسكندرية ولم يبلغه سكرتيره- أي سكرتير شوقي – بنبأ وفاة حافظ إبراهيم إلا بعد مدة لخوفه عليه من الصدمة ولعلمه بمدى قرب مكانة حافظ منه، شرد شوقي لحظات ثم رفع رأسه وقال أول بيت من مرثية لحافظ :

قد كنت أؤثر أن تقول رثائي   يا منصف الموتى من الأحياء

نَعَت الصُّحُفُ (حافظاً) فبَكى الشَّرْقُ عليه وأَعْوَلَ الإسلامُ
وانبرتْ أوطانُ العروبةِ تبكيـ   ـه بدمع يغارُ منه الغَمامُ(١)
كـلُّ رَبْـعٍ مـن الجـزيـرة فيه مـأتمٌ حـافـلٌ علـيـه يُـقـامُ
فبـ(مصرَ) الأنفاسُ مُستعراتٌ   وبـ(سوريَّةَ) الدموعُ سِجَامُ
وبـ(عَمّانَ) و(الحجازِ) أنينٌ   وبـ(بغدادَ) من أساهَا هُيَامُ
و(بأرضِ الأحقافِ) و(اليمنِ الخضـ   ـراءِ) من لوعةِ الهُمومِ ضرامُ(٢)

***

هذه الضّادُ في المدامعِ غَرْقَى   نَشَبَتْ في فُـؤادِهـا الآلامُ
تَنْدبُ ابْناً لها كريماً عليها   وقليلونَ في بنيها الكِرَامُ
طالما كَانَ حبُّها بين جَنْبَيْـ   ـه مَصُوناً يَحُفُّه الاحترامُ(٣)
كم تغنَّى بمجدها وهي تُعْلى   وبكاها النجيعَ وهي تُضامُ(٤)
حافظاً عهدَ ودِّها لم يخنْهُ   حينَ خانتْ عهودَهُ الأيامُ

***

شاعرَ النيل ! ماتَرَى النِّيلَ أسْوا   نَ ؟ تُناجيه بالأَسَى الأَهْرَامُ(٥)
كانَ درْعاً له يراعُكَ إمّا اعْـ   ـتَورَتْهُ من العَدُوِّ السِّهامُ(٦)

(١) الغمام : السحب .

(٢) الأحقاف : جمع حِقْف : وهو : الرمل العظيم المستدير أو المستطيل . والأحقاف مكان به رمال كانت ديار قوم عاد، قال ابن اسحاق : إنها رمل من عُمان إلى حضرموت، ويقصد بها الشاعر : وطنه : حضرموت .

(٣) يحفه : يحيط به .

(٤) النجيع : الدم   تُضام : تُظلم .

(٥) أسوان : حزين .

(٦) اليراع : القلم .

كُنْتَ عَوْناً له إذا فقد العَوْ … نَ وصَرَّتْ بظُلْمه الأقلامُ (١)
كَم رأينا للَّيث منكَ ارْتعاداً … وهو اللَّيْثُ يَتَّقيه الأنَامُ (٢)
أترى في يَراعكَ الحرِّ سحراً … يترُكُ الضَّاريات وهي نَعامُ ؟ (٣)
كيف فارقْتَ ماءَه العَذْبَ ؟ هَلْ لَذَّ … كَ منْ بعده الشَّرابُ الزُّؤَامُ ؟ (٤)
كَيف غَادَرْت (مصْرَ) وهي نداءٌ … وعـداءٌ وفُـرقَـةٌ وخـصَـامُ
كَيفَ غَادَرْتَ (مصْرَ) وهي رُعُودٌ … وبُـروقٌ، وعَـثْـرَةٌ وقـيَـامُ
لـوْ تمهلْتَ أو يـقـرّ قـريـبـاً … ناظريَك استقلالُ (مصر) التَّامُ !

* * *

أبنـاتَ النِّيـل السَّعيد ! أَقُمْتُنَّ بمَا نَاطَهُ بكُنَّ الذِّمَامُ ؟ (٥)
هل حَفظْتُنَّ (حافظاً) ونَشَرْتُنَّ عُلاَهُ وقد طَوَاه الحمَامُ (٦)
أنسيتُنَّ إذ يُشبِّبُ فيكُنَّ بشعرٍ يسيلُ منه الغَرامُ (٧)
أم نسيتُنَّ إذ يُناضلُ عنكُنَّ له بارتقائكُنَّ اهتمامُ
بنظام يَحْكيه في الحُسن ماتبْسمْنَ عنهُ. للّه ذاك النِّظامُ
والذيَّ صَاغكُنَّ دُرّا وحَلاّكُنَّ حُسناً تَعنو إليه الهامُ (٨)

---

(١) الصرير : صوت القلم .
(٢) الآنام : الناس .
(٣) الضاريات : الحيوانات المتوحشة .
(٤) الزؤام : الكريه .
(٥) الذمام : جمعه أذمة وهو الحق والواجب والعهد .
(٦) الحمام بكسر الحاء : الموت .
(٧) يشبب : يتغزل وقيل التشبيب الغزل والنسيب بمعنى واحد .
(٨) الهام : جمع هامة وهي الرأس، أي تخضع له الرؤوس . .

لَوْ أقمتُنّ مأتماً فيه نُحْتُنَّ عليه كما يَنُوحُ الحَمَامُ
وسَكَبْتُنَّ أدمُعاً من مآقيكُنَّ سَحّاً كما يسحُّ الغَمامُ
فغسلتُنَّهُ بهـا. وقدَدْتُنَّ رداءً خيُوطُهُ الأحـلامُ
فلَفَفْتُنَّهُ بـه. ونشرتُنَّ وُرُودًا لهـا الخُدودُ كمَامُ (١)
ونَضَحْتُنَّه بماء ثناياكُنَّ مسْكاً يُفضُّ عنهُ الختامُ (٢)
ولحَدْتُنَّ في القُلوب له قبـراً وقُلتُنَّ: نَمْ عليك السَّلامُ
ما قَضَيْتُنَّ مَالهُ من حُقوقٍ … إنَّ ذاكُنَّ مطلبٌ لايُرامُ

* * *

شاعرَ النِّيل ! كيفَ أرثيكَ ؟ قُلْ لي … أين من راحتيَّ ذاكَ المقَامُ ؟
غير أنـي وأنـت تعلمُ أني … مـن مُريـديك إنهـم أقـوامُ
قد براني الأسى عَليكَ وفي الشِّعرِ عَزاءٌ. فهلْ عليَّ مَلامُ ؟
أنا من (حَضرَمَوْتَ) من أرض عاد … حيثُ تلك الأحقافُ والآكامُ
جئتُ أذري فوقَ المدامع دمعي … علّ (مصراً) يُبَلُّ منها الأوامُ (٣)
علّ (مصراً) تَسْلو إذا رأَت العُر … بَ لهـا من مُصَابهـا أقسامُ
إنَّ ديـوانَـكَ الجَميلَ لحانٌ … طَابَ فيه للشَّاربينَ النِّدامُ
كَمْ سَكرنا وكم طَربنَا به والـ … عَيْشُ كالخُلد والزمَانُ غُلام
نتحَسّى من أبلغ الشعرِ خمراً … مُسْتلذاً حَديثُها والفدامُ (٤)

---

(١) كمام : جمع كُمّ وهو الغطاء
(٢) نضحتنه : أي وضعتن عليه الطيب ، وفضضتن ختمه بريقكن .
(٣) الأوام : حرارة الجوف من العطش .
(٤) الفدام : جمع فَدَم وهو مايوضع على فم الإبريق ونحوه لتصفية مافيه .

فَنرانا والأسْي وقفٌ علينا ... ليسَ ندري ما الهمُّ ما الاغْتمامُ؟!(١)
يا نَدَامَايَ خففُوا من أساكمْ ... هَكذا غايةُ الحَيَاة الحِمَام
إنْ يَمُت عاصر المُدَام فقد أودعَ كأسَ الخلود ذاكَ المُدام!
فهلمّوا نشربْ عَلَى ذِكره نخـ ... ـباً تبارحْ قُلُوبَنا الآلام

❊❊❊

شاعر النيل رحمةُ الله يسقيـك دَواماً مُلثُّها السجّامُ(٢)
وتلقّاك في الفراديس (حسَّانُ) و(كعْبُ) و(الفارسُ المقدام)(٣)
وبلقيا (الإمام) خِلّكَ أبشر ... فسيلقاك في الجنان الإمَامُ(٤)
نم هنيئاً فإنّما أنتَ حيٌّ ... لذّةُ في الخلود ذاكَ المَنَام(٥)
سوفَ يتلو آياتكَ الغُرّ جيلٌ ... بَعْدَ جيلٍ ما دَامَتِ الأيّامُ

❊❊❊

عدن: ٢٠ صفر ١٣٥١هـ

الموافق ٢٤ يونيو ١٩٣٢م

---

(١) الاغتمام: من الغم وهو الحزن.

(٢) ملثُّها: من ملث وهو المطر الذي يستمر أياماً ولاينقطع. السجّام: من سجم سجوماً وتعني الكثرة فيقال ناقةٌ سجوم أي كثيرة الدّر، أو السحاب الكثير المطر.

(٣) يقصد شعراء الرسول ﷺ حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، والفارس المقدام عبدالله بن رواحة.

(٤) الإمام: يقصد به الإمام محمد عبده، (١٢٦٦-١٣٢٣هـ/١٨٤٩-١٩٠٥م) دعا إلى تحرير الفكر الإسلامي من الجمود والتقليد، وآمن بأن صلاح الراعي من صلاح الرعية. وقد ربطت حافظ إبراهيم بالإمام علاقة وطيدة ومحبة، ويُعدّ من تلاميذه.

(٥) كتب هذا البيت في أكثر من صيغة على النحو التالي:

نم هنيئاً فإنما أنت حيٌّ ... لذّة في مصون الخلود المنام

ثم عدّل الشطر الأخير وكتب «لذّة في مهد الخلود المنام» إلى أن وصل للصيغة النهائية.

دموع عندليب الشام

عندليبٌ في الشام ناحَ عَلَى (شا ... عرِ مصرٍ) أكرِمْ به عندَليبا
هزّ قلْبي لما انبرَى يتغنّى ... برثاءِ شجْوٍ يُذيبُ القُلوبا
قَدْ قَضَى عَنْ لداته من بنات الـ ... ـنّيل حقّاً (لحافظ) مطلوبا
قالَ: والشّعر كاللّباء إذا دا ... فه حسناءُ زادَ عَرفاً وطيبا(١)
(لسْتُ أنساكَ للنساءِ نصيراً ... سامعاً صَوتَ حقّهنّ مُجيبا)(٢)

❊❊❊

إيه يا أختُ قدْ أجبت نِدائي ... ببنات النيل السعيد مُهيبا
كمْ شجاني نُواحُكِ العَذْبُ كم خَفّفَ بَلْوايَ ما لَحيْتُ الخطوبا؟
سرّني أن أرى بنات أبي يأ ... خُذْنَ منْ كلّ ما يفيدُ نصيبا
فيُعِنّ الرجالَ في السّعْي للعلـ ... ـياء حَتى نَبُزّ فيها الشّعوبا
فاقبلي شكر شاعرٍ دنفٍ كنْـتِ له يا فَتَاةَ قَومي طبيبَا(٣)

❊❊❊

عدن: ٢ صفر ١٣٥١هـ

الموافق ٣٠ يونيو ١٩٣٢م

---

(١) اللّبأ: أول اللبن عند الولادة قبل أن يرق. والقصيدة من البحر الخفيف ولو وضعنا اللبأ على الأصل اختل الوزن ولا يصح إلا بقولنا: اللباءُ. دافه: سحقه. مزجه.

(٢) لم نتعرف على صاحب البيت الذي يسميه صاحب الديوان «عندليب الشام»، وهو من شعراء الشام أعجب الشاعر برثائه لحافظ إبراهيم.

(٣) دنف: مريض وهي إشارة إلى واقع حال الشاعر عندما وصل عدن قادماً من حضرموت مريضاً حزيناً جراء وفاة زوجته الشابة.

بكائيات الحب(*)

نظمها – عفا اللّه عنه – فور وصوله إلى عدن، وهو بعد في غمرة الصدمة جرّاء وفاة محبوبته التي اختطفها منه الموت في حضرموت بعد زواج قصير.

﴿ ١ ﴾

الحب والانتظار

أَلا ليتَ شعري هَلْ عَنِ الهَمِّ مَزْحَلُ ... وَهَلْ عَن تباريح الجَوى مُتَحوَّلُ(١)
أيَعبرُ عامٌ بَعْدَ آخَرَ بي وَلَمْ ... يَزَلْ حُلماً ذاكَ الوِصَالُ المُؤَمَّلُ
أأقضي زماني هكَذَا في تَعَلُّلٍ! ... وَماذَا يفيدُ المُستهامَ التَّعَلُّلُ؟
إذا مَابَدَا صُبْحُ الرَّجاءِ لنَاظري ... تَعَرَّضَ لي لَيْلٌ مِنَ اليَأْسِ أَلْيَلُ
فَوَا رَحْمتَا للصَّبِّ يخْلُو بنفسه ... إلى سَرْحَةِ الوَادي فَيبكي ويُعْوِلُ!(٢)
تُهَيِّجُهُ الذِّكْرَى ويخْنُقُهُ البُكَا ... وَتعلُو حَشَاه بالنَّشيجِ وَتَسْفُلُ(٣)
ومنْديلُهُ في كفِّهِ لَيْسَ بارِحاً ... تُجَفِّفُه الآهَاتُ وَهو مُبَلَّلُ!!

***

(*) نظم الشاعر هذه الرباعية متفرقة بدون عناوين، وقد رأيتها بهذا التسلسل تروي مراحل قصة حبه لزوجته الحضرمية منذ انتظاره لتحقق أمل الزواج بها في ريعان الشباب إلى إصابتها بمرض عضال بعد زواجها ثم وفاتها.

(١) مزحل: من زحل أي تباعد وتحول عن مكانه.

(٢) سرحة: من سرح سرحاً، ويقصد بها مساحة الوادي أو مكان الرعي. وقد تكون الشجرة.

(٣) تسفل: تنزل.

﴿ ٢ ﴾

الحب والإيمان

نَبَـأٌ تَلقَّاهُ الفُـؤا ... دُ فَأَنْشبتْ فيه سِنَانَهُ
فَمضَى ينوُءُ بها كمط ... عونٍ ينوءُ به حِصَانُهُ
مُتَميِّزٌ مِنْ حرِّه ... فيكَادُ يلْفظُهُ لِبَانُهُ(١)
آه علَى ذَاكَ الحبَيـ ... ـبِ جلاءُ إبصَاري عَيَانُهُ
ما كَانَ أقصرَ عُمرَهُ ... ماقد قضى منهُ لُبَانُهُ(٢)
اليَومَ مَأتمُهُ وبا ... لأمسِ الزفافُ ومِهْرَجانُهُ

***

(١) لبانه: يقصد اللجام الذي يوضع في فم الحصان.

(٢) لُبانه: مفرده لبانة، وهي الحاجة من غير فاقة، ولكن من نهمة. يقال: ما قضيت منه لُبانتي، أي نهمتي.

﴿٣﴾

الحب والموت

نَسَفَ اليأسُ نَفْسي — بعدَ مَوْتِ حَبيبي
كُلَّ حينٍ لذكرا — هُ لَظًى في جنُوبي
نَارُهَا في فُؤادي — دائماً في شُبُوب
آه أوّاهُ ياربَاهُ هب لي ذنوبي(١)
آه أوّاهُ ياربَاهُ بَرِّدْ لَهيبي
رَبِّ فَرِّجْ هُمُومي — رَبِّ واكْشِفْ كُرُوبي
رَبِّ هَبْ لي عَزاءً — شَافِياً للقُلُوب
كَيْ يَكُونَ ضِمَادًا — للثَّأى والنُّدُوب(٢)
رَبِّ أَنْتَ نَصيري — رَبِّ أنت حَسيبي
لاَ تَدَعْني نَهْباً — بَيْنَ أيدي الخُطُوب

***

(١) هب لي ذنوبي: أي اغفر لي ذنوبي.
(٢) الثَّأيُ والثَّأى: أثر الجرح. والندوب: آثار الجراح ومفردها: النَّدَب

﴿٤﴾

الحب والذكرى

يُذَكِّرُنيكِ البَدرُ في غسقِ الدُّجى — وشَمسُ الضُّحى تُشجي فُؤادِيَ بالذِّكَرْ
أصَبِّرُ عنكِ النَّفسَ والنفسُ مالهَا — وإنْ أُعطيَتْ مُلكَ الدُّنَى عنكِ مُصْطَبَرْ
ولَمْ يُسلْني إلاَّ شُعوريْ بأنني — سألقاكِ عندَ اللَّه في خيرِ مُستقرْ
دَفنتُمْ حَبيبَ القلب أوّاهُ ليتكُمْ — دَفنتم (عَليّا) بين هاتيكُمُ الحُفَرْ!
ليَهْنكِ قَلبٌ بين جَنبيَّ ذاكرٌ — عُهُودَ هواكِ في العَشَايَا وَفي البُكَرْ
حَبيبةَ قلبي لاتَخَافي وتحزَني — فلا بُدَّ من لُقْيا وإن بَعُدَ السَّفَرْ
بحيثُ يَطيبُ العيشُ خُلْدٌ بلاَ فنا — وأُنسٌ بلا هَمٍّ وصَفْوٌ بلاَ كَدَرْ
يُظَلِّلُنَا الرضوَانُ من ربِّنَا فـ — نرى سَخطاً منه وذَا مُنتهى الوطَرْ
إلى المُلتقى يَاربَّةَ الحُسْنِ والرِّضَى — إلى المُلتقى يَاربَّةَ الطُّهرِ والخَفَر(١)
عَليكِ سَلاَمُ اللهِ ماهبَّت الصَّبا — ورَحْمتُه مَا غَابَ نَجْمٌ ومَا سَفَرْ(٢)

***

عدن: ٢٩ صفر ١٣٥١هـ
الموافق ٣ يوليو ١٩٣٢م*

(١) الخفر: الدلال. (٢) سفر: ظهر وأشرق.
(*) بمقارنة هذا التاريخ بتاريخ الرسالة الأولى التي أرسلها لأخيه عمر بحضرموت ساعة وصوله عدن في ٢١/٢/١٣٥١هـ، الموافق ٢٦/٦/١٩٣٢م، أرجح أنه كتب هذه المقطوعات خلال الأسبوع الأول من وصوله عدن أو أنه كتب بعضها قبل وصوله ثم أتمها في عدن. ومن واقع رسالة بين أيدينا من أخيه عمر بعثها إليه في المكلا – قبل مغادرته إلى عدن – وتاريخها ١٠/٢/١٣٥١هـ، الموافق ١٥/٦/١٩٣٢م، نتبين أن وفاة زوجته الحبيبة كان في ١٥ محرم ١٣٥١هـ، الموافق ٢٠ مايو ١٩٣٢م، ومن هنا نجد أن وصوله عدن كان بعد وفاتها بشهر تقريبا.

طهرِّ ثيابكَ*

نظمها بناء على اقتراح من صديقه الحميم الأستاذ محمد علي لقمان(١) رئيس نادي الإصلاح الإسلامي بعدن لإلقائها في النادي.

طهِرِّ ثيابكَ ثُمَّ قُل: يا (أحمدُ) — عيدُ الخلائقِ كلهَّا ذا المولدُ
في كلِ عامٍ منْكَ يومٌ للورى — عيدٌ، وللحقِ المُؤيّدِ مشهدُ
ترنو العيونُ إلى سناهُ قريرةً — ولعهدهِ الميمُون تهفُو الأكبدُ

***

عدن: ٢٩ صفر ١٣٥١هـ
الموافق ٣ يوليو ١٩٣٢م

* لم أعثر على تتمة لهذه القصيدة فأما أنه أتمها وفُقد النص الكامل أو أنه لم يتمها ولم يلقها في النادي. وقد عثرت على هذه الأبيات في قصاصة مستقلة مع مقدمتها كما ذكرها أيضا في رسالة بعثها لأخيه عمر بحضرموت بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٣٥١هـ، الموافق ١٢ يوليو ١٩٣٢م.

(١) محمد علي لقمان، ونادي الإصلاح الإسلامي: انظر هوامش الصفحات: ٦٣، ٦٤.

يا سيدي لقمان!

وقال لما مرض بالحمى والصداع في عدن، ووجهها إلى صديقه الحنون محمد علي لقمان*:

بَكَيْتُ وما بكيتُ إليك خَوفاً — ولا فرَقاً منَ الموتِ الزَّبونِ(١)
فلم تتركْ لي الأيّامُ عِلْقاً — أخافُ عليهِ منْ ريبِ المنونِ(٢)

(١) فرقاً: خوفاً. الزبون: الشديد الدفع، يقال: زبنت الناقة ولدها أو حالبها عن ضرعها، وزَبَنَتْ به: دفعته برجلها فهي زَبون، وقيل: حربٌ زبون على التشبيه لأنها تزبن الناس أي تَصْدِمُهم.

(٢) العلْق: النفيس وجمعها أعلاق.

* محمد علي إبراهيم لقمان: (١٣١٥-١٣٨٥هـ / ١٨٩٨-١٩٦٦م) أديب وصحفي وشاعر وخطيب ومترجم ومحام ومفكر إسلامي وخطيب مؤثر يدعو إلى الاصلاح من منابر المساجد والنوادي. من رواد النهضة الأدبية والفكرية في عدن، أتقن عدة لغات، وكان وراء تأسيس أول ناديين أدبيين في عدن، وهما نادي الأدب العربي سنة ١٩٢٥م، ونادي الإصلاح الإسلامي العربي سنة ١٩٢٩م، ثم خرجت من تحت عباءة هذين الناديين نواد أخرى في مختلف مناطق عدن، وفي سنة ١٩٣٦م سافر لقمان إلى الهند، وعاد سنة ١٩٣٩م بشهادة جامعية في المحاماة، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى اشتغل بالصحافة وأصدر في يناير ١٩٤٠م جريدة «فتاة الجزيرة» التي بث من خلالها صوته الفكري والسياسي، وكان صاحب أول صالون أدبي في عدن أدى إلى ظهور «مخيم أبي الطيب» لإقامة المحاضرات والندوات، ثم أصدر سنة ١٩٥٣م «عدن كرونكل» أول مجلة بالإنجليزية في الجزيرة العربية. ثم أصدر عدة كتب أهمها: «هل هذه قصاصة ورق؟» ١٩٢٣م، و«بماذا تقدم الغربيون؟» ١٩٣٢م، و«جولة في بلاد الصومال» ١٩٣٤م، و«أرض الظاهر» ١٩٤٥م، و«الشعب البريطاني»، و«انتصار الفكر» ١٩٤٧م، و«قصة الثورة اليمنية» ١٩٤٩م، و«قصة الدستور الحجي»، و«عدن تطلب الحكم الذاتي» ١٩٥٢م.

ومن أعماله الأدبية: رواية «سعيد» ١٩٣٩م، ورواية «كملاديفي أو آلام شعب وآماله». أسس (الجمعية العدنية) سنة ١٩٤٩م، وجعل من هذا الحزب منبراً لنضاله الحضاري ضد=

وليسَ سوَى حنوّك هاجَ شجوي ... وما أبديت منْ عطف ولين

ذَكرتُ حبيبتي فهَفا بقلبي ... تـذكّرُ تلكمُ الـرُّوح الحَنُون

فَلو كانتْ معي لأزَال شكوْي ... مُـرورُ بنانها فـوقَ الجبين(١)

حَبَسْتُ الدَّمعَ حتّى جاءَ خلّي ... ليمسحَهُ فَفَاضَ منَ الجُفُون(٢)

فَمَا مبكايَ منْ جزع وَلكنْ ... كما يشكو الخدينُ إلى الخدين

فَدُمْ يا سيّدي (لقمانُ) طبّاً ... وسَلْوَى للعليل وللحزين

فَكَمْ فَرّجتَ من همّي وضيقي ... وَكمْ كفكفتَ منْ دَمْعي السخين

= المستعمر البريطاني . له دور مشهود في دعم (حركة الأحرار اليمنيين)التي أسسها أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري وإيوائها ومساهمته في إصدار مجلة (صوت اليمن) سنة ١٩٤٦م عن دار « فتاة الجزيرة » التي يملكها . واستمراره في دعمها حتى فشل الثورة سنة ١٩٤٨م وهو بصنعاء ونجاته بإعجوبة من مقصلة الإمام التي أعدمت كل الذين لم يتمكنوا من الفرار .

كان من الأعضاء التنفيذيين في « حزب مؤتمر الشعب العدني » قبل الاستقلال عن الاستعمار البريطاني . وقد ربطته بصاحب الديوان صداقة حميمة نادرة المثيل، وتبادلا عشرات الرسائل بعد سفر باكثير إلى مصر .

توفي محرماً بلباس الحج في الأراضي المقدسة قبل استقلال جنوب اليمن بسنة، ثم كان جزاؤه من حكومة الثورة أن أغلقت صحيفته وصادرت أملاكه وشتت شمل أسرته وأضاعت تراثه وشوهت نضاله حتى أعيد له الاعتبار بإقامة ندوة كبرى عنه بجامعة عدن في الفترة من ١٣–١٥ نوفمبر ٢٠٠٦م، أصدرت جامعة عدن أبحاثها في مجلدين، ثم قام ابنه الوفي المهندس ماهر محمد علي لقمان بإعادة طباعة جميع أعمال والده في مجلدات أنيقة عاد بها محمد علي لقمان إلى الحياة من جديد .

(١) يقصد زوجته الحضرمية الراحلة التي ما زال يذكرها في كل حين .

(٢) خلي : يقصد به صديقه محمد علي لقمان .

سألتُ اللهَ يمنحُني شِفَاءً ... بـجاه (محمدٍ) البرِّ الأمين

ثقيلَ الظّهرِ إلا منْ صَلاح ... خَفيفَ الظهرِ إلا من فُتُون

دَعَا مستشفعاً بكَ خيرَ ربٍّ ... أتمّ عُـلاك بـالخُـلُق المتين

عَلَيك صلاتُهُ الفيحاءُ دَوْماً ... وَمِسْكُ سلامِه في كلّ حين

❊❊❊

عدن : ١٥ ربيع الأول ١٣٥١ هـ

الموافق ١٨ يوليو ١٩٣٢م

رسائل لقمان

إلى الأستاذ محمد علي لقمان بعد الاطلاع على رسائله :

رأيـتُ رسـائـلَـك الـوافـيـة — عُـقُـوداً مـن الـدُّرَر الـغـالـيـة
فـشِـعْـرٌ رقـيـقٌ أسـيـرُ الـقـوافـي — وشـعـرٌ طـلـيـقٌ بـلا قـافـيـةْ
أفـادتْ أخـاكـم عَـلُـومَ الـحـيا — ةِ لَـوَ أنّ لـه أذنـاً واعِـيَـة!

رحلة لقمان

وقال وقد أطلعه الأستاذ محمد علي لقمان على رحلة له إلى الصومال* :

مـرّتْ بـنـا سَـرْعَـى الـحـيـاة — لـم تُـبـقِ إلا الـذِّكـريـاتْ
(لـقْـمـانُ) ! هـذي رحـلـةٌ — مـيـمـونـةٌ فـيـهـا عـظـاتْ

* مذكرات محمد علي لقمان بعنوان : (جولة في بلاد الصومال) رافقه باكثير في جزء منها أثناء وجوده معه في عدن، ثم نشرت في كتاب بعد مغادرة باكثير، وأعيد طبعها مؤخراً ضمن سلسلة أعمال لقمان المختارة التي اعتنى بها وجمعها د. أحمد علي الهمداني ونشرها ابنه البار المهندس ماهر محمد علي لقمان. وقد ذكر محمد علي لقمان مصاحبة باكثير له في هذه الرحلة وما دار بينهما من أحاديث ومحاورات في وصف جميل جذاب للرحلة نقتطف منه قوله: « عزمت على الرحلة إلى مدينة برعو فرافقني إليها على سيارة من سيارات النقل ولدي البكر علي وصديقي الشاعر الشيخ علي أحمد باكثير وصديقي الأديب عوض أفندي دحمان الصعدي...، وسألني الشاعر الأديب الشيخ علي باكثير عن اتصال الأرواح بعضها ببعض واتحادها وائتلافها وتنافرها، فقلت له لما كنت في أول الشباب وتزوجت بأم علي رحمها الله كنت أشعر بغبطة وسعادة بقربها وإذا ما حلمت أحلم كأني معها في المهد وفي البيت الذي خلقت فيه وكأننا كنا نلعب معا ونسرح ونمرح طول أيام الطفولة، بل كنت أحلم أني عرفتها في عهد لا أدري متى كان وأين كان ولا أزال حتى وهي الآن في العالم الثاني عند ربها أحلم بتلك الأحلام اللذيذة ». (راجع الأعمال المختارة السابقة الذكر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥١٨ وما بعدها).

صابونة لقمان

وقال . وقد أهداه صابونة .:

أهْـدَيـتَـنـي صـابـونـةً   لتزيلَ عنْ جِسْمي الدَرَنْ (١)

وأفَـدْتَـنـي دُرَرَ المَعَا   رِفِ والـعُـلُـوم بـلا ثـمنْ

(لقمانُ) قُلْ لي كيفَ أشْـ   ـكُرُ ما أفَـدْت مِـنَ المِـنَنْ؟

ولَـقَـدْ جَـمَـعْـتَ لِـيَ المُنَى   تـهـذيـب رُوحـي والـبَـدَنْ

(١) الدرن : ما يعلق بالجسم .

تعزية لقمان

تعزية للأستاذ محمد علي لقمان في وفاة مولود صغير اسمه (صلاح الدين) :

يـا (ابـن لـقـمـانَ) تـعْـزِيَـةً   في (صَـلاحِ) أخي المِئةْ (١)

دِيـةَ الأجـرِ خُـذْ فـما   لأخـيـذ الـرّدى ديَـةْ

جَـاءَ والـعُـرْبُ حَـالُـهُـمْ   لـلـمُـحـبـينَ مُـبـكـيَـةْ

فَـمَـضَـى شـافِـعـاً إلـى   الـلّـه لـلـعُـرْبِ تـضـحـيَـةْ

❊❊❊

(١) المئة : لضرورة الفصحى ، والأصح « المية » لتطرُّد القافية على الياء والهاء .

شفاء لقمان

وقال وقد وعك عبدالرحيم(١) ابن الأستاذ محمد علي لقمان ثم عوفي:

قالوا لَنَا (عبدُالرحيمْ) … ليلةَ أمسنا سقيمْ
فاكتأبتْ قُلُوبُنا … لهولِ ذا الخطبِ الجسيمْ
وها هو الليلةَ يمـ … ـشي في سُرُورٍ ونعيمْ
فالحمدُ للهِ الذي … عافى لنا (عبدَالرحيم)
إنا لنرجو منهُ يَوْ … ماً مثلَ (لقمانَ الحكيمْ)!

(١) عبدالرحيم محمد علي لقمان: (١٣٣٨-١٤١٩هـ/١٩٢٠-١٩٩٩م): ولد في عدن، ودرس فيها قبل التوجه إلى بغداد حيث أكمل الثانوية العامة، ثم عاد إلى عدن حيث عمل مدرساً لبعض الوقت خلال السنوات الأول للحرب العالمية الثانية. أرسله والده إلى جامعة القاهرة حيث نال الليسانس في الآداب الأوروبية، ولاسيما الأدب الإنكليزي والأدب الروسي، كما نال ليسانس التربية، وعلم النفس في الجامعة الأمريكية، وعاد إلى عدن يحمل شهادتين جامعيتين عام ١٩٤٧م، عمل مدرساً للأدب الإنكليزي، ثم كان أول مدير عربي للمدرسة المتوسطة. الثانوية بعدن، قبل أن يصبح أول مدير عربي لكلية عدن الجامعية. بعد ذلك أصبح وكيلاً لوزارة المعارف، وألف عدة كتب مدرسية للمستوى العالي الثانوي، وكان ضليعاً باللغتين الإنكليزية والروسية بالإضافة إلى الفرنسية.

عدن ثغر جميل

أنشأ هذه الأبيات ارتجالاً في حفلة نادي التواهي بعدن(١) في الذكرى الرابعة لتأسيسه:

يا بني الإصلاح سيروا للأمامْ … وليعشْ ناديكمُ في كلِّ عامْ
سرّني ما شمتُ في محفلِكمْ … من وِفاقٍ واتحادٍ ووِئامْ

***

كل فرد منكمُ جوْهرةٌ … نسقَتْ من مُنتَداكُمْ في نِظامْ
فكأني بكمُ في زَمَنٍ … غير ناءٍ قد ظَفرْتم بالمرامْ
وأخَذْتُم مقعداً فوق السُهى … وتساقيْتُم من العز المُدامْ
عندما تظفر باستقلالها … أمّةُ العرب الميامين الكرامْ
عندما تَرْحَضُ من أوطانِها … دَرَنَ استعمارِ أعْداء السلامْ(٢)
قد أهلّ المجد في ناديكُمُ … فاذْأَبوا حتى يُرى بدرُ التمامْ
(عدنٌ) ثغرٌ جميلٌ ضاحكٌ … وبنو الإصلاحِ في الثغرِ ابتسامْ!

***

عدن: ١٩ ربيع الأول ١٣٥١ هـ
الموافق ٢٢ يوليو ١٩٣٢م

(١) نادي التواهي: يقصد به نادي الإصلاح الإسلامي العربي بمنطقة التواهي أُسس سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، حين اجتمع الأهالي وقرروا إنشاء نادٍ لهم يكون هدفه الأول الإصلاح الاجتماعي، ونشر التعليم والوعي الوطني، وانتخبوا له الأستاذ عبده غانم رئيساً (والد الشاعر المعروف د. محمد عبده غانم) من وجهاء التواهي. وقد ساهمت شخصيات عدن الثقافية الكبيرة في حركة النادي مثل الأستاذ محمد علي لقمان والأستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج، وقد أسس كلٌ منهما نادياً مشابهاً في منطقته مع استمرار الصلة بالنادي الأم، واستمر النادي يمارس نشاطه حتى سنة ١٩٥٣م.

(٢) ترحض: تتخلص.

عفاف الريح في عدن!

وقال ـ عفا الله عنه ـ في فتاة فارسية شاهدها على شاطئ البحر بعدن:

وجالسة بالرمل بين لداتها ... سَوَاعدُها وضاءةٌ كالسَّجَنْجَل (١)

مِنَ الكشْرويات ابْتَرَدْنَ عشيّةً ... عَـوَاريَ إلا لَبْسَةَ المتفضلِ (٢)

نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً فتهافَتَتْ ... تَدَاعيَ دعْص الرَّمْلَة المُتهيِّل! (٣)

وَلَمّا دَنونا نحْوَهَا نَهَضَتْ كَمَا ... توثَّبَ ظَبيٌ راعه شَخصٌ مقبل

ولو لا عَفَافُ الرِّيح عنْ رَفْع ذَيْلِها ... وقفتُ على سر الجَمَال المُفصَلِ!

فيا حُسْنَها لَمَا تأطّر قدُّهَا ... برُمّانتين منْ ضَحَايَا هُمَا (عَلي)

خَرَجْتُ إلى الشطِّ ابتغاءَ نسيمه ... ولم أتَوَقَّعْ أنَّ في الشَّطِّ مقتلي

فلا تعذلوني إنْ حييْتُ، وإنْ أمتْ ... فما أنَا في صرعَى الغرام بأوَّل

ولي بعدُ بالضِّليل جدّيَ أسوةٌ ... ومنْ يتقيّلْ جَدَّه لا يُضَلّل (٤)

سبته المها منْ يعْرُبٍ، وحفيدُه ... صريعُ جُفون الفارسيِّ المكحلِ (٥)

***

عدن: ٢١ ربيع الأول ١٣٥١ هـ

الموافق ٢٤ يوليو ١٩٣٢م

---

(١) السجنجل: المرآة والذهب وسبائك الفضة، رومي معرب.

(٢) لبسة المتفضل: الملابس الشفافة التي تظهر مفاتن الجسد.

(٣) المتهيل: من تهيل إذا مال.

(٤) ينتهي نسب أسرة باكثير إلى كندة التي أنجبت الملك الضليل الشاعر امرأ القيس الكندي، وقد افتخر باكثير بهذا النسب في قصائد عدة في ديوان «أزهار الرُّبا في شعر الصبا» ومنها قوله:

ومن يكن من آل امرئ القيس فليكن ❊ له المجد من تيجان آبائه تاجا

(٥) المها: البقر الوحشي، ويقصد به الفتيات الجميلات بحلاوة العيون، والمقصود بالفارسي الفتاة التي شاهدها على شاطئ البحر بعدن.

في بستان عدن

تَيَمّمتُ بُسْتَانَ المدينة فانبرت ... ليَ الطَّيرُ تشدو صادحاتٍ على ورق (١)

ترَى عَلمَتْني شاعراً؟ فَتَلاحَقَتْ ... تَطَارحُني ما راقَ من شعْرهَا وَرَق (٢)

***

---

(١) ورق: ورق الأشجار.

(٢) رق: من الرِّقّة، وهو هنا يتعامل مع الجناس الكامل.

على شاطئ عدن

على شاطئ البَحْرِ الجميلِ تَلاطَمَتْ على فكرتي أمواجُ بَحْرٍ منَ الشِّعْرِ
توسّلَ منّي البحرُ وَصْفَ جَمَالِهِ فأصدفُ عنهُ قائلاً: ما تَرَى عُذْرِي(1)

***

(1) أصدف: أنصرف عنه.

خشية الرب

وقال. عفا الله عنه. إثر مشهد رآه في عدن:

قَدْ ذَكَّرتْني بعُهُودِ الهوى غـانيـةٌ تـرقُـصُ بـالـقَـلْـبِ
تُمْعِنُ في الرَّقْصِ فتسبي النُّهَى ومثلُها في حُسنِها يُصبِي
لـولا خـلاقٌ أنـا فـي سجنه دَنَوتُ منها الجَنْبَ بالجَنْبِ(1)
وكـنـتُ أقْـدَمـتُ فعانَقْتُهَا لـو فـارقَـتْـنـي خشيةُ الـربِّ

***

(1) يقصد أنه سجين الأخلاق.

نشيد يوم العقبة

في نصرة عاهل الجزيرة المظفر عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود* :

أقبلَ يومُ العَقبة   يَومَ تُفكُّ الرَّقبة[1]
ها هُو ذا ما أقرَبَه   له بحطينَ شَبَه[2]
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ

ماذا تُجِنُّ السُحُبُ؟   ماذا تُكِنُّ الحُجُبُ؟
نارُ وَغى تلتهبُ   وأُسْدُ حربٍ تَثِبُ
لها زئير وأزيزْ

أقبلَ يومُ العقبة   يَومَ تُفكُّ الرَّقبة
ها هو ذا ما أقْرَبَه   له بِحطينَ شبَه
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ

يا بارقاً ذا لَمَعَانْ   يلمعُ في أفقِ (مَعَانْ)[3]

---

* وفقا لتسلسل الأحداث التاريخية نرجح أنه نظم هذا النشيد في منتصف ربيع الأول ١٣٥١هـ تشجيعاً للملك عبدالعزيز بالهجوم على أعدائه الذين كانوا يعدون العدة لاختراق الحدود السعودية عبر ميناء العقبة بقيادة المتمرد حامد بن رفادة بدعم من الملك عبدالله بن الحسين ملك شرق الأردن والملك أحمد فؤاد ملك مصر، وقد نشبت المعركة بالفعل في آخر ربيع الأول ١٣٥١هـ ، وانتهت بهزيمة ابن رفادة وموته.

(١) العقبة : يقصد به ميناء العقبة الواقع على خليج العقبة بالأردن.

(٢) يشبه الملك عبدالعزيز بصلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ . ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م)، قائد معركة حطين، التي كان من نتائجها تحرير بيت المقدس من الصليبيين.

(٣) معان : مدينة تقع جنوب الأردن حالياً.

كم في سناك من مَعَانْ   مُنذرُنا بمَعْمعان
هل ثَم للبغيِ مجيزْ؟!

أقبلَ يومُ العقبَة   يَومَ تُفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَه   له بحطينَ شبَه
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ

ويلٌ لأوطان العربْ   من حادث قد اقتربْ
سوفَ يسوءُ المُنقلبْ   إنْ لم يقُوموا بالأهبْ
لردِّ غاراتِ المغيرْ

أقبل يوم العقبَةْ   يومَ تُفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَه   له بحطينَ شبَه
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ

هذا العدوُ الطُّمَعَةْ   أقبلَ والشرُّ معهْ
يَرقُب في الضيقِ سَعَةْ   لكي ينالَ مَطْمعهْ
مِنْ حَرَم الله المنيرْ

أقبل يوم العقبَةْ   يَومَ تُفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَه   له بحطينَ شبَه
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ

يا ابنَ ليوثِ المَعْمَعَةْ … قُمْ فأعِدْها جَذَعَةْ[1]
أرِ العدُوَّ موضِعَهْ … وذَكِّرَنْه مَصرعَهْ
بسيفكَ الماضي الشهيرْ
أقبلَ يومُ العقبَةْ … يَومَ تفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَهْ … له بحطينَ شبَهْ
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ
لاتتركِ الوقتَ يضيعْ … وَعندكَ الجيشُ العَتيدْ
من كُلِّ مِقدَامٍ مُطيعْ … فُؤادُهُ مثلُ الحديدْ
لا يرهبُ الموتَ الزؤامْ
أقبل يوم العقبَةْ … يَومَ تفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَهْ … له بحطين شبَهْ
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ
يا أمَّةَ العُربِ انضوي … إلى اللواءِ النبوي
في كفِّ شهمٍ بدوي … عن قصده لايَرْعوي[2]
لو دُونَه وِرْدُ الحِمامْ!

(١) الجذعة: الشابّة، يقال: أعدت الأمر جذعاً، أي جديداً كما بدأ.
(٢) لا يرعوي: لا يتراجع.

أقبلَ يومُ العقبَةْ … يَومَ تفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَهْ … له بحطينَ شبَهْ
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ
هذا المليكُ العَرَبيْ … يُجدِّدُ الدِّينَ الحنيفْ
يذودُ عن دارِ النبيْ … ويحفظ الشَّرعَ المُنيف
يدعوكُمُ إلى الوئامْ
أقبلَ يومُ العقبَةْ … يَومَ تفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَهْ … له بحطين شبَهْ
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ
مَليكَنا عبدَالعزيزْ! … إمامَنا يا ابنَ السُّعودْ
إن العدوَّ جلفزيزْ … فلا تَغُرنْكَ الوُعودْ[1]
ولا يرعْكَ الكافرون!
أقبل يوم العقبَةْ … يَومَ تفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَهْ … له بحطينَ شبَهْ
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ

(١) جلفزيز: الداهية الثقيل.

(مَعَانُنَا) و (العَقَبَةْ) هنا سِياجُ الحَرَمَيْنْ!
فهل يكونان هِبَةْ لِمُشركٍ باغي اليدينْ؟
هذا وربّي لا يكون!!
أقبل يومُ العقبَةْ يَومَ تفكُّ الرَّقبةْ
ها هو ذا ما أقْرَبَهْ له بحطين شَبَهْ
(صلاحُه) عبدُالعزيزْ
هُبُّوا بني الدينِ الحنيفْ ذُبُّوا عن البيتِ الحرامْ
أوّاه يا أُسدَ الغريف لاتتركُوا البيتَ يُضام[1]
يوماً وأنتم ترزقون

عدن: ربيع الأول ١٣٥١هـ
الموافق: يوليو ١٩٣٢م

---

(١) الغريف: الأجمة، وهي الشجر الكثيف الملتف.

يا من لليل الغُرب طال !!

في نصرة عاهل الجزيرة وقائدها الأكبر الملك عبدالعزيز آل سعود(*) بمناسبة قضائه على جماعة من الخارجين عليه[1].

خَفَقَ الفؤادُ بما تذكَّرْ فالنومُ عن جَفْني مُنفَّرْ
يا ليلُ رِفقاً بالغريب نَبَا به وطنٌ ومعْشَرْ
خَطَفَ الزمانُ حَبيبَهُ وأذاقهُ الملحَ المصبَّرْ
فمضى يجوبُ الأرضَ جوْباً عَلَّهُ يَسْلُو فيُؤجَرْ
الليلُ جَوْنٌ دامسٌ والريحُ عاتيةٌ وصرْصَرْ[2]
تكسُو الظَّلامَ مَدارعاً من عِثْيرٍ يُزجَى بعِثْيَرْ[3]
وَتَمُرُّ تَدوي في الشُّقوقِ فَتَحْسِبُ الآسادَ تزأرْ

---

* الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (١٢٩٣ - ١٣٦٣هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٤م) مؤسس المملكة العربية السعودية وموحد شتاتها، أعجب الشاعر بدينه وفروسيته وزعامته منذ صغره، وتتبع حركة توحيده للمنطقة وقضائه على الإمارات الصغيرة، وتوقع نجاحه في تحقيق أول وحدة عربية على نهج إسلامي نقي. وقد نظم الشاعر عدة قصائد في نصرة بطل الجزيرة، كما كتب مسرحيات قصيرة ومشروع فيلم سينمائي عن الملك عبدالعزيز بعد وفاته.

(١) يقصد بهم ابن رفادة وجماعته الذين هاجموا الحدود السعودية عبر العقبة، وانتهت المعركة بهزيمتهم والقضاء عليهم.

(٢) جون: من كلمات الأضداد وتعني شدة الظلام. صرصر: شديد البرودة.

(٣) مدارعا: مفردها: مدرعة، والدّراعة الثوب من الصوف أو الجبة، والمراد هنا هو الكسوة. العثير: الغبار.

يا وَحْشَةَ الليلِ البهيم تبيتُ فيه الريحُ تَزْفِرْ
فاصْبر على مُرِّ القضاءِ فمَنْ يَلُذْ بالصبرِ يُؤجَرْ
ما ذا الظَّلامُ بِدائمٍ فكأنني بالصبح أسْفِرْ

***

يا من لليلِ العُربِ طالَ فَهَلْ لَهُ فجرٌ فَيُنظرْ؟
أفكلما نهضَ الفتى منهم بأمَّته تعثَّرْ؟
أوَكلما ابتسمَ الزمانُ بسيِّدٍ منهم تَنَكَّرْ؟
مَاذا (بنجد) و (الحجاز) وكيفَ مُلكُهُمُ المشَهَّرْ؟
ماذا ترقرقَ من دمٍ للعُربِ في الصحراء يُهدَرْ؟
سُحُبٌ تَلَبَّدُ في السماءِ وتحتها نارٌ تسعَّرْ!
ما عَنَّ (لابنِ رفادة) هل شَاقَهُ تاجٌ ومنبرْ؟(١)
أم ضاقَ ذرعاً بالحياة فَخارَ وِرْدَ الموتِ أحمرْ؟(٢)
أمْ للعُلى ما بين جَنْبيه دَعَاهُ فما تأخرْ؟
أمْ كانَ للحيَلِ البَريطانيةِ (الكلبِ المُؤجَّرْ)؟
الفعلُ في الصَّحراءِ منهُ و (لندنٌ) للفِعْلِ مَصْدرْ!

(١) ابن رفادة: حامد بن سالم بن رفادة كان من رعايا الملك عبدالعزيز وتمرد سنة ١٣٤٧هـ، وفر إلى مصر ثم لجأ إلى الأردن، وحصل على دعم من أميرها الشريف عبدالله بن الحسين، ثم من ملك مصر أحمد فؤاد، وتوجه برجاله وأسلحته عبر العقبة إلى الحدود السعودية، فدارت معركة انتهت في يوم واحد، قتل فيها ابن رفادة في آخر ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ.

(٢) خار: أي اختار.

و(ابنِ الحُسَيْنِ) عنِ الكيادِ لدينه أنْقى وأطهَرْ(١)
ما كانَ إلاّ نادباً عرْشَ (الحَجازِ) وقد تَدَهْورْ
ما كانَ إلا رَائماً إصلاحَ ما فيه تَغَيَّرْ
هَدَم (السعوديُّ) القُبابَ فضجَّ منه الدينُ يَجْأرْ(٢)
وَهَلِ الدِّيانةُ غيرُ أبنيةٍ على الموتى تُعَمَّرْ؟!
فالاحتلالُ أخفُّ منْ هَدْمِ القُبَابِ لِمَنْ تَفَكَّرْ
أسفاً عَلَيْها! لا على حرِّيةِ الحرمينِ تُقْبَرْ!

***

(عبدُالعزيز) بسيفه سيعزُّ الحرمَ المطهَّرْ
سَيَصُونُهُ منْ مُعْتدٍ ويَحُوطُهُ من كلِّ مُنْكَرْ
وسيطْرُدُ الأعداءَ منهُ بعسكرٍ من خلفِ عسكرْ
مَنْ ذا يُغَالِبُهُ وطوعُ يمينه (الأسدُ الغضنفرْ)؟!(٣)

***

(١) ابن الحسين: يقصد به الأمير عبدالله بن الحسين وهو أحد أبناء الشريف حسين الهاشمي حاكم الحجاز سابقاً. اشترك مع والده في الثورة على الدولة العثمانية سنة ١٩١٦م، وتولى قيادة عدة جيوش فشل فيها ثم رضخ لتعليمات وزير المستعمرات البريطانية، فتولى إمارة شرقي الأردن سنة ١٩١٢م، ثم أصبح ملك المملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٩٤٦م مات مقتولاً بالرصاص في المسجد الأقصى بتهمة التخاذل في الدفاع عن فلسطين في حرب سنة ١٩٤٨م احتوى أعداء الدولة السعودية، وقدم الدعم لابن رفادة في تمرده على الملك عبدالعزيز.

(٢) يسخر الشاعر من الذين غاظهم محاربة الملك عبدالعزيز للبدع والخرافات وهدم القباب المرفوعة فوق القبور.

(٣) القائد الذي صد ابن رفادة.

وَيْحَ العُروبةِ داؤُها أبناؤُها فَبِهِمْ تَضَرَّرْ
نَبَذوا الإخاءَ فبعضُهُمْ للبَعضِ مِن أَعْدَائِهِمْ شَرّ
يَتعلَّلونَ بمذهبٍ والحقُّ مثلُ الصبحِ أنْوَرْ
الدينُ دينُ اللهِ في قرآنِهِ السّامي مُسَطَّرْ
وحديثُ خيرِ الرُّسْلِ نورٌ مَن هُداهُ بهِ يُفَسَّرْ

***

هُبُّوا بني العُرْبِ الكرامِ فكُلّ شعبٍ قد تَنَوَّرْ
عَزَّتْ شعوبُ الأرضِ والعربيُّ مُمْتَهَنٌ مُحَقَّرْ
أوطانُهُ مَمْلوكَةٌ للأجنبيِّ بها تَسَيطَرْ
يَنْهى ويأمُرُ وابنُ يَعْرُبَ. وَيحَهُ. يُنهى ويُؤمَرْ!
أنُهانُ في أوطانِنا ولدى عشيرتِنا ونُقْهَرْ؟
أينَ الإباءُ اليَعْرُبيُّ؟ وأينَ ذكْرٌ عنهُ يُؤثَرْ؟
هل كانَ ماضينا حديثَ خُرافةٍ يُطوَى ويُنشَرْ؟
لا والذي أغرى العدوَّ بنا ليُعقَلَ مِن تدبُّرْ
ما كانَ غيرَ حقيقةٍ سَجَدَ العدوُّ لها وكَبَّرْ!

***

يا ليتَ شعري والمنى عَسَلٌ يُشَجُّ بماءِ كَوْثَرْ(١)
أيعودُ ماضينا المجيدُ ومُلكُنا في البحرِ والبرْ؟
أتَراهُ يُقبِلُ ثانياً من بعدِ ما ولّى وأدبَرْ؟
إذْ طبَّقَ الدنيا هُدانا عَرْفُهُ مِسْكٌ وعنبرْ

---

(١) يُشَج: يُخلط.

إذْ طأطأتْ لِجَلالِنا دُوَلٌ على الدُّنيا تَكَبَّرْ
إنا ثلَلْنا عرشَ (كسرى) واستبحنا مُلكَ (قيصرْ)(١)
في ربعِ قرنٍ لم يزِدْ دنّا الدُّنى فاللهُ أكبرْ!

***

(عبدَالعزيزِ) الفارسَ المغوارَ والملكَ المُظفَّرْ
جئتَ (الحجازَ) فصُنتَهُ مِمَّن يعيثُ بهِ ويفجُرْ
وأقمتَ فيهِ الدِّينَ مِنْ أوهامِ سطّرها مؤجّرْ
فبدا هُدَى (المختارِ) وَضاءً كنورِ البدرِ أزهرْ
إنْ ينْهَدِ الباغي إليكَ فإنَّ سيْفَكَ لم يُكسَّرْ
أدِّبْهُ واعرِفْ مَن زَجاهُ فقدْ بدا مهما تستَّرْ(٢)
لا تخْشَ (حامدَهُم) وحاذرْ كُلَّ خافي المكرِ أشقرْ(٣)
إن الجزيرةَ من أولاءِ القومِ في خطرٍ مُقَرَّرْ
فامدُدْ يديْكَ إلى (الإمامِ) فباتحادكُما تُحَرَّرْ(٤)

---

(١) إشارة إلى سقوط أكبر أمبراطوريتين في العالم آنذاك على أيدي المسلمين وهما الأمبراطورية الفارسية والأمبراطورية الرومانية.

(٢) زجاه: يزجي الشيء أي ساقه ودفعه.

(٣) حامدهم: ابن رفادة.

(٤) الإمام: يقصد به الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن (١٢٨٦–١٣٦٧هـ/ ١٨٩٦ – ١٩٤٨)، أديب عالم وشاعر كان يرى الاستبداد في الحكم خيراً من الشورى، أغلق حدود بلاده دون العالم الخارجي طوال حكمه ومنع السفر والتعليم ودخول الأجانب، وظلت علاقته بالدولة السعودية منذ إنشائها في مد وجزر حتى وقعت حرب سنة ١٩٣٤م التي انتهت باتفاقية الطائف الشهيرة. =

لا سـورَ غيـرُ الاتحـاد بـه جزيرتُنا تُسوَّرْ
فكلاكُما الشهمُ الهُمامُ كلاكُما الفطِنُ المُنوَّرْ
لا تتركَا فُرصَ الزمان تضيعُ إن الوقتَ جَوهرْ
فتضامَنَا وأنا الكفيلُ بأنَّ سُؤدَدَنا سَيُنْشَرْ

= تولى الإمامة في اليمن بعد وفاة أبيه سنة ١٣٢٢هـ، وكانت صنعاء في قبضة الدولة العثمانية فقاد النضال لإخراج القوات العثمانية التركية، فكانت الحرب بينهما سجال حتى حاصر صنعاء حصاراً شديداً انتهى بصلح دعان الشهير الذي جلت بموجبه القوات العثمانية عن اليمن سنة ١٣٣٦هـ، ودخل الإمام صنعاء، ونال اليمن استقلاله منذ ذلك اليوم.

وحكم الإمام يحيى اليمن حكماً مستبداً وأغلق أبوابه دون العالم، وعاد باليمن القهقرى إلى عصور الظلام، فعم الجهل والفقر والظلم مما أدى إلى ظهور جماعات من الثائرين عليه، منهم من هو من أقرب الناس إليه ابنه سيف الإسلام إبراهيم والسيد عبدالله بن أحمد الوزير الذين فروا إلى عدن.

وفي فبراير سنة ١٩٤٤م، الموافق صفر ١٣٦٣هـ وصل عدن عدد من الثائرين على الإمام يحيى وكان في مقدمتهم شاعر اليمن الكبير محمد محمود الزبيري ورفيقه أحمد محمد نعمان وزيد الموشكي وأحمد الشامي، فاحتضنهم محمد علي لقمان وجعل جريدته «فتاة الجزيرة» صدراً حنوناً يتسع لأفكارهم ينشرها، ويدافع عنهم بلا تردد ويقف في صفها ثم ما لبثوا أن أعلنوا (حزب الأحرار) الذي أصبح فيما بعد يحمل اسم (الجمعية اليمانية الكبرى) ليعبر عن طموحات أبناء الشعب اليمني في الشمال والجنوب معاً، وأصدرالأحرار في عدن صحيفة «صوت اليمن» التي طبعت في مطابع دار «فتاة الجزيرة» لمحمد علي لقمان الذي كان من رجال الحركة الجنوبيين.

وفي ١٧/١/١٩٤٨م جرت محاولة فاشلة لاغتيال الإمام يحيى، وبعدها بشهر تم اغتيال الإمام في ١٧/٢/١٩٤٨م وعاد الثوار إلى صنعاء وأعلنوا ما سمي «بثورة اليمن الدستورية»، ولكن سرعان ما استطاع ولي العهد أحمد بن يحيى حميد الدين أن يحاصر صنعاء ويستبيحها بعد دخولها منتصرا في ١٣/٣/١٩٤٨م،=

فخرُ العروبةِ أنتما إن يبقَ للعربيِّ مفخرْ!
مني السلامُ عليكما، وتحيةُ الرحمنِ أعطَرْ!

***

عدن: ٢٩ ربيع الأول ١٣٥١هـ
الموافق ٢ أغسطس ١٩٣٢م

= حيث ضرب أعناق معظم رجال الثورة، وفقدت اليمن نخبة من رجالها الأخيار في الوطنية والفكر والثقافة، واعترفت جامعة الدول العربية بأحمد إماما شرعياً على اليمن في ٢١/٣/١٩٤٨م، واستمر حكمه حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م.

تغيبت عنّا يا (علي)*

بعد ماوصل صاحب الديوان إلى عدن أرسل إليه صديقه وابن عمه ورفيق صباه الشاعر الشيخ عمر بن محمد باكثير، هذه القصيدة من حضرموت شوقاً إليه.

إليكَ فتى الآدابِ أنهي مقالتي ... مقالةَ ذي ودٍّ وأنتَ بها أحرَى

تَغيَّبْتَ عنّا والديارُ قَريبَةٌ ... فلمْ نستطعْ شوقاً وضقنَا به صَبْرا(١)

فكيفَ ومِنْ دونِ الديارِ بَلاقعٌ ... طوَالٌ،وكَمْ من دونها مَهْمَهٌ قُفرا(٢)

ذهبتمْ وصيرتم على الربْعِ وَحْشَةً ... وأضْحَتْ رُبى (سيئونَ) من بعدكُمْ غُبْرا

فَلاصاحبٌ يُستودعُ السرَّ، لا، ولا ... أنيسٌ يزيلُ الهمَّ أو يَشْرحُ الصَّدرا

ولا أهْلُهَا ماتَعْهَدُون صِفَاتِهم ... ولكن عَرَتهمْ بَعْدكُمْ حالةٌ أخرَى

* عمر محمد باكثير (١٩١٢-١٩٩٢م/١٣٢٧-١٤١١هـ) عاش ومات بمدينة سيئون بحضرموت زميل صبا ودراسة صاحب الديوان وابن عمه العلامة محمد بن محمد باكثير، استمرت علاقتهما بالمراسلات الشعرية والنثرية بعد سفر صاحب الديوان إلى مصر، وللمترجم له أعمال مخطوطة لم تطبع منها ديوانه الشعري ودراسة بعنوان (شعراء من حضرموت) ومسرحية شعرية بعنوان (أبو اليقظان) عن أثر الحرب العالمية الثانية على حضرموت وله مذكرات بعنوان (مع علي أحمد باكثير) ودراسة ظريفة بعنوان (أكواب الشاي في الأدب الحضرمي)، وغيرها.

(١) أي إننا لم نستطع احتمال غيابكم عنا شوقاً إليكم بالرغم من أنك ما زلت في عدن، لم تبعد كثيراً عن حضرموت.

(٢) بلاقع: مفردها بلقع وأصلها الأرض غير السّوية، ومثلها المَهمَه.

فياليتَ أنَا والأَمَاني حَميْدَةٌ ... ذهبْنَا إذَنْ في سَعْفِكُمْ نُوقِفُ السَّيْرا(١)

ولكِنْ رَضينا بالقعودِ سَفَاهَةً ... على حالةٍ لانستطيعُ لها ذكرا

يميناً فإنَّا لا نَـزَال بِذكْرِكم ... نُرتِّلُهُ صُبحاً ونقرؤهُ عَصرا

عَسى عَوْدَةٌ منكم، تعودُ جَميلةً ... مَطالبُنَا حتّى نرى لَيْلَها ظُهْرا(٢)

نَرى تلْكُمُ الأيامَ أيامَ أُنْسنَا ... وأيامَ «تهذيب» النُّهى بيننا تُقرا(٣)

وأيامَ للآدابِ والشّعرِ صَوْلَةٌ ... وأيَّامَ هذي الأرضِ منْ وَبْله خَضْرا(٤)

***

سيئون: ٥ ربيع الثاني ١٣٥١هـ

الموافق ٧ أغسطس ١٩٣٢م

(١) سعفكم: من سعف في مساعدتكم أو مرافقتكم، بمعنى أنه تمنى أن يكون رفيقاً له في السفر لكي يعينه على العودة إلى الوطن.

(٢) هناك ارتباط بين العودة والنور.

(٣) النُهى: العقول، تهذيب: يعني بها مجلة «التهذيب» التي أصدرها صاحب الديوان في حضر موت في عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م لمدة سنة. وقد صدرت أعدادها في مجلد عن المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ وقدم لها الأستاذ محب الدين الخطيب بكلمة إعجاب وترحيب، وقد صدر باكثير في هذه المجلة عن فكر إسلامي مستنير، ودعوة إلى النهوض بحضرموت من خلال العلم والإصلاح والحوار البناء، وجعل افتتاحية هذا المجلد بسؤال: ما هو التهذيب؟ وجواب ببيت من شعره يقول:

قبس تالق من سنا حرية ... سيكون فاتحة النهوض الحضرمي

(٤) وبل: كثرة الماء وكثرة المطر تؤدي إلى الإخضرار.

سلام على سيئون

جواب صاحب الديوان على قصيدة ابن عمه الشيخ عمر بن محمد باكثير يُعبِّر فيها عن مكنونات شوقه:

أخي وأخو الآدابِ هَاجَ ليَ الذكْرى ... عفَا اللَّهُ عنه شَبَّ في كَبدي جَمْرا
أتاني قَريضٌ منهُ يسْمُو إلى النُّهَى ... فسرْعانَ ما تَغْدو القلوبُ له أَسْرَى
فَأثْبَتَ بُرهاناً جديداً مؤيِّدًا ... على أننا بيتُ القَرِيضِ ولا فَخْرَا(١)

***

سَلامٌ على (سيئون) أنَّى تَطَرَّحَتْ ... بيَ الحَالُ إنْ (جَاوَا) قصدتُ وإن (مصرَا)(٢)
فبينَ ضُلُوعي صَاحِبٌ ليس بارحاً ... يَنُوحُ على عَصْرٍ كَرِيْمٍ به مَرَّا
سلامٌ على (دارِ السلامِ) وفتْيَة ... بها من شبَابِ الدَّهْرِ عَاطَوني الخَمْرَا(٣)

(١) أنجبت أسرة آل باكثير عدداً كبيراً من الشعراء عبر العصور أشهرهم عبدالصمد بن عبدالله باكثير(٩٥٥-١٠٢٥هـ) شاعر حضرموت في القرن العاشر الهجري فضلا عن أن معظم إخوانه شعراء، وقد عددهم عمه العلامة الشيخ محمد بن محمد باكثير في كتابه «البنان المشير في علماء وفضلاء آل أبي كثير».

(٢) شهدت رسائله المتبادلة مع أسرته أنه غادر وطنه مدينة سيئون بحضر موت إلى عدن قاصداً التوجه إلى حلمه الكبير مصر مباشرة، لكن أثناء وجوده في عدن وصلت إليه رسائل من والدته بجاوا (إندونيسيا) تطلب منه أن يعود لزيارتها. ثم حدث بعد ذلك أنه لم يتمكن من زيارة والدته، ولا من السفر إلى مصر، فتوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وأمضى هناك قرابة عام، ثم توجه إلى مصر سنة ١٩٣٤م.

جاوا: إحدى كبرى جزر إندونيسيا، وفيها العاصمة جاكرتا.

(٣) دار السلام: الاسم الذي أطلقه الشاعر على منزله في سيئون ويتم تجهيزه الآن ليتحول إلى مركز ثقافي ومتحف يحمل اسمه، والمقصود بالخمر مجالس شرب =

بحيثُ يَسُودُ الودُّ ضَاحكَ جَوِّنا ... وحيثُ كِرَامُ الكُتْبِ مابيننا تُقْرَا

***

سَلامٌ على قَبْرِ كَرِيمٍ لصاحبٍ ... نعمتُ به دَهْراً و تهتُ به عَصْرا(١)
بَنَيْتُ به قصراً مَشيْداً من المُنى ... فَشُلَّتْ يدٌ للدهْرِ هَدَّمَت القَصْرا
رُزِئْتُ به رُزْءاً لو انَّ عَظيمَهُ ... على جبلٍ لانْدَكَّ أو كوكبٍ خَرَّا
تَلَقَّتْهُ نَفْسي فاستمرَّ مَرِيْرُهَا ... عزاءً، وجُثْماني فَضَاقَ بهِ أمْرا

***

أخي كدتُ مِمَّا سال شِعْرُكَ رِقَّةً ... أعودُ إلى (سيئونَ) أتبَعُ الشِّعْرى
رأيتُ به شَخْصَ الوفاءِ مُجَسَّماً ... وشمتُ به الأخْلاقَ في صورةٍ غَرَّا(٢)
ولكنَّ قَصْدي صَوبَ (مصرَ) لمطلبٍ ... تَبَطَّنْتُهُ دَهْراً وبُحْتُ به جَهْرا
فَيالكَ صِنوٌ لَمْ تُغيِّرْ له النَّوى ... وداداً ولم يرضَ البعادُ لَهُ عُذْرا
لَئِنْ هَاجَ بي وجدٌ فقد خفَّفَ الجوى ... جَوَى كَبِدي إجراؤه لاسْمي الذِّكْرا؟

***

= الشاي، كقوله في صديقه محمد حسن بن شهاب:

ودارت بيننا كاساتُ شاي ❋ ألذَّ من المدامة للنديم (راجع ديوان أزهار الربا في شعر الصبا).

(١) يقصد به قبر زوجته الحضرمية التي أحبها حباً عظيماً وفجع بموتها في ريعان الشباب، والمقصود بالعصر: الزمن.

(٢) غرا: أصلها غراء.

فياليْتَ شِعْري هَلْ لَياليَّ بالحِمَى … رَواجعُ أو هَلْ يبسمُ الدهْرُلي أُخرى؟
وياليتَ شِعْرِي هَلْ تفوزُ بِنَظْرةٍ … إلى ساحَتَيْ (قيدان) مُقْلتي العبرا؟[1]
عَسَى الله ربي أن يحقِّقَ لي المُنى … فَأَخْدمَ قومي أو أُذيعَ لَهُمْ فَخْرا[2]

***

عدن: ٧ ربيع الثاني ١٣٥١هـ
الموافق ٩ أغسطس ١٩٣٢م

(١) قيدان: يقصد به مسجد قيدان بن عبدالله باكثير المجاور لديار آل باكثير في سيئون بحضرموت. وقد حقق الله للشاعر أمنيته بالعودة إلى وطنه، والصلاة في مسجد قيدان. والنظر إلى ساحته، وذلك في شهر مايو ١٩٦٨م بعد غياب استمر أربعة وثلاثين عاماً متصلة عن وطنه!

(٢) استجاب الله لدعائه فحقق أمنيته في خدمة قومه وأمته، وأذاع لهم بروائع أعماله ما يفخرون به.

أيها الظالم مهلاً

نظم هذا النشيد تلبية لرغبة صديقه الحميم الأستاذ محمد علي لقمان وزملائه بنادي الإصلاح العربي الإسلامي بعدن ليكون نشيداً رسمياً للنادي[1]:

نحنُ للعزِّ خُلقْنا … نأنفُ الضيمَ ونَابَى[2]
نحنُ أبناءُ رِجالٍ … مَلَكوا الدّنْيا كَعَابا
قد بَرانا اللهُ نوراً … إذْ بَرى الناسَ تُرَابَا

***

نحنُ أُسدٌ قدْ تخذنَا … (نَاديَ الإصلاحَ) غاباً
همُّنا المجدُ فَلَنْ نأ … لُوَهُ الدهْرَ طِلابا
قد تقلّدناه ديناً … وتَلَوناه كِتاباً

***

أيُّها الظالمُ مهلاً … سنقاضيكَ الحسابَا
سوفَ تدري عن قريب … أنّ للرئبالِ نابا[3]
لانهابُ الموتَ إنّا … نشربُ الموتَ شَرَابا

***

عدن: ١٤ ربيع الثاني ١٣٥١هـ
الموافق ١٦ أغسطس ١٩٣٢م

(١) نادي الإصلاح الإسلامي العربي أُسس في حي كريتر بعدن سنة ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م برئاسة الأستاذ محمد علي لقمان ولفيف من المثقفين العدنيين، وشارك النادي في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية والوطنية، وظل النادي يقوم بدوره في نشر التعليم وإرسال البعثات وتوظيف الوطنيين في الإدارات الحكومية ورفع مستوى الأخلاق حتى سافر رئيسه الأستاذ لقمان في بعثة دراسية إلى الهند سنة ١٩٣٦م فتوقف النشاط.

(٢) تسهل الهمزة فتصير (ونابى) لتصح القافية.

(٣) الرئبال: الأسد.

ولو ثَقَّفْتَ يوماً حضرمياً *

قالها بمناسبة قيام أعضاء نادي الاتفاق بأديس أبابا (الحبشة) بتأسيس مدرسة عربية إسلامية :

علـى إخـوانـنـا المتـديـرينـا — (أديس أبابا) سلامُ المخلصينا[1]

سـلامُ الشـاكـرينَ لما بـنـوا مـنْ — عُـلاً لبني العُـرُوبـةِ أجمعينَا

تذكرْنَا بهمْ عَهْدَ (النجاشي) — وهجرةَ (آلِ طهَ) الأكرمينَا[2]

(*) نشرت في مجلة « الفتح » في العدد ٣١١ بتاريخ ٢١ / ٥ / ١٣٥١هـ/ الموافق ٢١ / ٩ / ١٩٣٢م، وقد ذيل الشاعر اسمه بلقب « عضو نادي الإصلاح الإسلامي بعدن » . ولكن تاريخ نظمها كان قبل ذلك بشهر وذلك من واقع رسالة كتبها من عدن إلى أخيه عمر في حضرموت بتاريخ ٢١ / ٤ / ١٣٥١هـ / الموافق ٢٤ / ٨ / ١٩٣٢م، يقول فيها عن هذه القصيدة : « وبالأمس ألقيت في النادي (يقصد نادي الإصلاح الإسلامي بعدن) قصيدة ضمنتها شكر العرب بأديس أبابا عاصمة الحبشة بمناسبة تأسيسهم مدرسة كبيرة أنفقوا عليها عشرة آلاف ريال، واستطردت إلى ذكر حال العرب التعس بجاوا وربما تنشرها جريدة العرب بسنغافورة بعد حين » .

(١) هاجر الحضارم إلى الحبشة ومنها انطلقوا إلى بقية بلدان شرق أفريقيا يبتغون الرزق بأخلاق التاجر الصدوق فأسهموا في نشر الإسلام في تلك البقاع، وأسسوا المساجد والمدارس العربية والنوادي الإسلامية، ومنها « نادي الاتفاق » مناسبة القصيدة الذي جمع شمل كل عرب تلك البلاد . ومعنى (المتديرينا) أي الذين اتخذوا الحبشة داراً لهم .

(٢) النجاشي : ملك الحبشة النصراني الذي هاجرت إلى بلاده جماعة من المسلمين هرباً بدينهم من اضطهاد قريش في مكة بقيادة جعفر بن أبي طالب، وكان بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت الرسول ﷺ، وكان من ثمار هذه الهجرة اعتناق النجاشي . الذي كان ملكاً عادلاً – للإسلام لما رآه من أخلاق هؤلاء المسلمين، وما لمسه من صدق في معتقدهم وهذا هو موضع التشبيه الذي يقصده الشاعر .

أبـوْا ضيـمَ الأعــادي يمتطيهمْ — بـدَارِ الشرك فامتطَوُا السفينَا

إلـى حيثُ المقـامُ يطيبُ فيه — لـعُـبّـادِ الإلـــه الـذّاكـرينـا

رَأَتْ أخلاقَهم عينُ (النجاشي) — فـآمـنَ إذْ رأى الحـقَّ المبينَا

فيـا لمـواطـنٍ هَـبَـطَـتْ إليـهـا — مـلائكـةُ الـسـلام مبشّـرِيْنَـا

تـلـقّـتـهـمْ بـحـبٍّ واحـتـرام — كما يستقبلُ الخدْنُ الخدِيْنَا[1]

مشى (عثمانُ) ذو النورينِ فيها — و(جعفرُ) والرفاقُ الآخرونا[2]

فـفي جنبـاتـهـا منـهـم ضـيـاءٌ — وعـرفٌ لن يغورَ وَلَـنْ يبينَا[3]

* * *

عَلَى ذاكَ الأسـاسِ فشيّدوهَا — مَــدَارسَ عـامـرات للبنينَا

علَى ذاكَ الأسـاسِ فشيّدوهَا — نــواديَ للشبابِ الناهضينَا

هنالكَ فارفعوا الإسـلامَ شأناً — وبـثـوا هـدْيَـهُ فـي العالمينَا

وكـونـوا حُـجـةً لـلـدِّيـن فيهم — وَرُدُّوا عـاديـاتِ المعتـدينَا

ألا لـلـه درّكُــــمُ رجـــالاً — سَـعَـيْـتُـمْ للعلا متكاتفينَا

(بـنـادي الاتـفـاق) قد اتّفقتُمْ — عَـلَـى إعـلاءِ شـأنِ المسلمينَا

رحلتمْ تبتغونَ هُـنَـاكَ رِزقـاً — فـعـدتُمْ تـنـشرونَ هـنـاكَ دينـا!

(١) الخدن : جمعه أخدان للذكر والأنثى، وتعني الصديق .

(٢) جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ .

(٣) العرف : العطر .

رأيـتُـمْ سُـوءَ عـاقـبـةِ الـتـعـادي فكنتُمْ بـالإخـا مستمسكينَا
فـهـلْ لـبـني أبـيـنـا أن يَـرَوكـمْ بأقصَى الشرق؟ هلْ لبني أبينا؟ (١)
لـعـلّـهـمُ بـكـمْ إمّـا رأوكـمْ نَـهَـضـتُـمْ بـالتـآخـي يـقـتـدونـا
فهم سبقُوا إلى النهضات لكنْ بفرقتِهم غَـدَوا متقهقرينَا (٢)
قد اختلفوا وما اختلفوا لشيءٍ سِـوى عـصبيّةٍ وقـدتْ أتـونـا
وأهـــواءٍ بـأدمـغـةٍ صـغـار تـلاعـبُ كـالـصـوالـج بالكرينا
غــرورٌ قـدْ مشى حسدٌ إليه على علميهما يتقاتلونَا (٣)!
فمنْ خمريهمَا أضحوا سكارَى وفـي كأسيهما احتسَوا المنونَا
فوا أسفا شعُوبُ الأرض ترقى وقـومـي بينها . يتشاتمونَا (٤)
إذا طالَعْتُ صحْفهمْ بَـدَتْ لي أفـاعـي الخـلْـفِ رافـعةً قُـرُونَـا!
بـهـا الأهـــواءُ عـالـيـةً صُـراخـاً وليـسَ بها صـدىً للمصلحينَا

✻✻✻

(أديس أبابا) ألا تلقينَ دَرْسا على (جـاوا) وجيرتـها مبينًا؟
فـفـيـك بـنـو أبـيـنـا قـد تـآخـوا على سُرر الرِّضَى متقابلينَا (٥)

---

(١) إشارة إلى الخلاف الذي حدث بين الحضارم في إندونيسيا، وقد سبق تفصيله.
(٢) هجرة الحضارم إلى الشرق الأقصى سبقته هجرتهم إلى شرق أفريقيا على قربها منهم.
(٣) غرور: يقصد من اغتر من العلويين بنسبه الشريف وحسد: يقصد به من حسدهم على غرورهم أو نسبهم من الإرشاديين.
(٤) إشارةٌ إلى ما كانت تنشره صحف من العلويين والإرشاديين العربية في المهجر.
(٥) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ (سورة الحجر ٤٧).

بـأولى الـهـجـرتين شرفـتِ أمساً ويـومَـكِ بـالـتَّـفـاهـم تـشرفـينَا
وثـمـةَ مـثَّـلُـوا (أبـنـاءَ هـود) و(عـدنـان) سباعاً مُرعوينا (١)
أرى الإنـصـافَ طبّكم جميعاً متى يـا قـومَـنـا تـتـنـاصـفـونَا؟
وليس كقلّةِ الإنـصـافِ شيءٌ يـغـيـظُ على أصـولـهـم البنينَا
وَمَـا نـيـل الـسِّـيـادة بـالأمـاني ومـا خُلقت لقوم عـاجزينَا (٢)
ولـكـنْ أمـهـروهـا بـالمعـالي تكونوا في الشعوب مسوّدينَا
ولـمْ أرَ قـطُّ أسـمـجَ مـن يمين تُسَيِّدُ نَفْسَهَا قُطعَتْ يمينا! (٣)
ومــادحُ نـفـسِـه بـالحـقِّ يُقلى فكيفَ بمادحٍ في الكاذبينَا؟ (٤)

✻✻✻

فـثـوبـوا لـلـوفـاقِ، ولا تـكـونُـوا (براقشَ) واسمعُوا النصْحَ الثمينا (٥)

---

(١) أبناء هود يقصد بهم أبناء حضرموت الأصليين إذ يعتقد أن قبر نبي الله « هود » في حضرموت في مكان معروف، وعدنان أحد أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإليه ينتهي نسب الرسول ﷺ وآل بيته. ويشير الشاعر إلى أبناء هود وأبناء عدنان هنا إلى ما حدث بين الإرشاديين والعلويين من صراع في إندونيسيا.
(٢) إشارة إلى قول شوقي، وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا.
(٣) إشارة إلى الذين يحرصون على أن يُقبِّل الناسُ أيديهم.
(٤) يُقلى: قليَ، أي أبغض وهجر. ويقصد الشاعر: أن الناس يستهجنون الذي يمدح نفسه ولو كان بالحق، فكيف إذا مدح نفسه بالكذب؟!
(٥) براقش: اسم كلبة ورد في مثل عربي مشهور: « على أهلها جَنَتْ براقش »، وذلك أن أصحابها أخفوها معهم في غار خشية عدو أغار عليهم، فنبحت فدلّت على مكان القوم فنكبوا ونكبت معهم.

دَعُـوا الأقـدارَ للتاريـخ يـرْقُـمْ | عليكمْ أو لكمْ ما تعملونَا (١)
وربّـكُـمْ بـكُـمْ أدرَى . تـعالـى . | ففيمَ علـى المَـدَى تتنابزونَا؟
ومن يُحسِنْ ويعملْ صالحاتٍ | فـإنَّ الـلـهَ يـجزي المحسنينَا

***

مَضَـى زمـنُ الجـمـودِ فودِّعـوه | ووافَـاكُـمْ زَمَــانُ العـامـلـينَـا!
زمـانٌ لـيـسَ يَـعْـلـو فـيـه إلاّ | عصاميٌّ جَرَى في السابقينَا(٢)
وإنَّ لـنـا مـواهـبَ سـامـيـاتٍ | . بني الأحقاف . أدْهشت القُرُونَا
ألا فاسـتـعـمـلـوهَـا فـي المَـعَـالـي | تَنالوا في الورى المَجْدَ الأثينَا (٣)
فـقـدْ لـعـبـتْ بــأدوارٍ كـبَـارٍ | جُـدُودُكُـمُ الـكـرامُ الـسـالِفُونَا
وَلَـو ثقّفتَ يـومـاً (حَـضْـرميّـاً) | لـجـاءَكَ آيـةً فـي الـنـابـغـيـنَـا (٤)

***

عدن: ٢٠ ربيع الثاني ١٣٥١هـ
الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٣٢م

---

(١) يقصد أن الذين يزكون أنفسهم عليهم أن يتركوا التاريخ يحكم لهم أوعليهم..
(٢) استبدل صاحب مجلة «الفتح» كلمة «عصامي» بكلمة «مجاهد» في النص المنشور. وعصاميّ أصح لأنها معروفة، ولها دلالة تاريخية وعروضية حيث يستقيم بها بيت.
(٣) الأثين: الأصيل.
(٤) حث باكثير في أكثر من موضع أبناء قومه على التعليم وحذرهم من الاتكال على الذكاء الفطري وحده في عصر العلم والتعليم، وقد ذاع صيت هذا البيت بين أبناء الحضارم في وطنهم وفي مهاجرهم.

لولا جمود الحضرمي

نظمها بمناسبة وقوع الصلح بين الحزبين المتخاصمين من إخواننا العرب بجيبوتي على يد أخينا العالم العامل الشيخ محمد سالم البيحاني(١) أحد أعضاء نادي الإصلاح بعدن:

نُـوراً أرَى مـلأَ الـفـضـاءَ بـريـقَـا | في الشاطئ الشّرقيِّ مَنْ (أفْريقَا)!
ارتدَّ في (شَمْسانَ) فضْلُ شُعَاعِه | فحسبتُ (موسى) تحْتَه مَصْعُوقا(٢)
أسَنَا نجومِ الهجرةِ الأولَـى أضا | أمْ تاجُ (بلقيسٍ) أضاءَ شُروقا؟(٣)
لا ، بلْ هُنَاكَ بنُو العروبَةِ أشْرقَتْ | شمسُ الـوفَـاقِ عَـلـيـهـمُ تـأليقَـا

---

(١) محمد سالم البيحاني (١٣٢٥-١٣٩١هـ/١٩٠٨-١٩٧٢م) داعية ومصلح وفقيه وعالم في الشريعة والتاريخ والأدب، ولد ونشأ في بيت والده الفلكي الفقيه العلامة الشيخ سالم بن حسين بمنطقة بيحان قرب عدن. أرسله والده إلى حضرموت لتلقي العلوم الشرعية على شيوخها لمدة سنتين. عاد إلى بلدته ثم انتقل إلى منطقة الشيخ عثمان من أعمال عدن، وتأهل فيها واشترك مع عالمها الجليل الداعية السلفي الشيخ أحمد محمد العبادي في محاربة البدع والخرافات والانحرافات الصوفية. ثم ارتحل إلى مصر والتحق بالأزهر، واتصل برجالات الفكر والدعوة في كل بقاع العالم الإسلامي. عاد إلى عدن، وواصل مسيرته الخيرة وجهاده المستنير من خلال الخطابة والكتابة، ونظم الشعر، وتربية الشباب إسلامياً، وله فتاوى جريئة انتشرت في كثير من البلاد الإسلامية ورسائل إلى حكام المسلمين، وعدة مؤلفات منها: «أستاذ المرأة»، «إصلاح المجتمع»، «أشعة الأنوار». وله ديوان شعر ومنظومة في تاريخ اليمن.
(٢) شمسان جبل شهير في عدن والشطر الثاني تضمين للآية الكريمة: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ (الأعراف:١٤٣).
(٣) بلقيس ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم.